

مغارة بياتوس وجذع غوته

حسين حبش*

يونغفراو^(١) (العذراء)

انبثقتُ من بين زندين شامخين في أعالي جبال الألب
 وهمستُ: أنا فراشة الثلج النائمة في عرين البياض.
 أنا ناثرة البنفسج والقبلات
 والعناق المقدس هنا وهناك.
 أنا طائر الفلامنكو الذي يطير ويطير
 ولا يحطُ إلا على ندف الثلج السخية دوماً.
 أنا قبة سويسرا وقمتها،
 أنا سرّتها وعذوبتها التي تُذوّبُ بأيقونتها الفضية
 المشهد بأكمله.
 أنا الرقيقة التي تجذب إليها السماء بنجومها وأقمارها.
 أنا تردد الفصول الأربعة في اللحظة ذاتها.
 أنا المرأة التي تعكس الملائكة في وجهها،
 والبحيرة التي تفيض بالحبّ في اخضرارها العميق.

* شاعر كردي من سوريا، مقيم في ألمانيا.

أنا المتألّثة التي تغري السيّاح بالابتهاال أمام نهديتها
 وفخذيتها السامقين.
 أنا حرفة الضوء، وينبوع الأسرار، وجوهر الأرواح في خفّتها...
 أنا «إيضا: المطّلة من الغواية، و«مادونا» العارياة بغمامها ورخامها.
 أنا المرأة العذراء التي تجذب العشاق إلى أسفارها.
 أنا البدء والأزل.
 أنا الأمّ الشامخة دوماً...
 سأبقى تاج القمم وفتنتها.

• إنترلاكن ١٧ / ٦ / ٢٠٠٨

المسافرة!

حقيبتان مملؤتان بالدموع
 تتدحرجان أمامها
 وشاح أسود يفتك بعنقها الطويل...
 قبعة مائلة تخبئ عن رأسها الذكرى
 نظارة سميقة تكتم أنفاس عينيها الجميلتين،
 وتقود خطواتها إلى المحطّة.
 بقدمين خائرتين تصعد إلى القطار
 وببيد حائرة تلوّح للمدينة
 تلويححتها الأخيرة
 تسند رأسها الخائب
 على حقيبتها المملؤتين بالدموع
 ولا تدري أين ستكون
 محطتها الأخيرة!

• إنترلاكن ١٨ / ٦ / ٢٠٠٨

نحلة لوتسيرن

تهب البرودة من غرّة الجبل
 وتتعش الجسد البضّ

الذي يحتضن بفتنته مواهب الشمس.
 يلفت انتباه قلبي
 ويجذب إليه نحلة العين الجائعة.
 أقترب منه، وأرهف السمع
 إلى أنينه وخطاياها...
 نهدان مثيران،
 شجرة كرز،
 ووردة تتفتح في الهديان.
 أهب حواسي لندائه
 وأشمُّ رائحة عطوره
 يومئٍ إليّ دون غضاضة:
 ادخل أيها الغريب وخذ رحيقي،
 أدهنّ شفتيك بلذائذه
 وتمتع ما شئت من شهواته!
 ادخل أيها الغريب
 فلستَ بغريبٍ في حقلي وبستاني.

• لوتسيرن ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٨

لأجلها...

امرأة ضاعفت
 من نبضات قلبها لأجلي
 وأنا ضاعفت
 من بقائي لأجلها.
 رأيت الجنة
 تضاعف أزهارها لأجلنا.

• جنيف ٢٤ / ٦ / ٢٠٠٨

عصافير

العصفور الذي رقد
على عشب قلبي
كان عصفورك
والذي نقر نبضاته
أيضاً كان عصفورك
والذي طار بعيداً عنه
دون التفات
أيضاً وأيضاً كان عصفورك.

• جنيف ٢٤ / ٦ / ٢٠٠٨

الطلقس في برينز^(٢)

القطار
ينزل الهوينا من الجبل.
السفينة
تعود من نزهتها عبر البحيرة.
يلتقي كلاهما أمام زند الماء.
بمودة
يتصفاحان.

العاشق ينزل من القطار
والعاشقة تودع السفينة
يركضان بلهفة إلى بعضهما.

بحرارة
يتعانقان.

• قرية برينز ٢٥ / ٦ / ٢٠٠٨

مغارة بياتوس^(٣) وجذم غوته

الدهشة أن تكتم أنفاسك وتصعد الوعورة
 إلى مغارة بياتوس المهيبة في الأعلى
 أن تحيي من حولك الأشجار الكثيفة...
 أن تومئ للبحيرة الزرقاء التي تسند ظهرك
 وتصفق للنهر الذي ينسرب
 من بين أصابعك كعقد لؤلؤ
 أن تقرأ على إحدى الجذوع القديمة
 انبهارات غوته، الذي مرَّ من هناك قبلك.
 الدهشة أن تتأبط قلبك وكأنك خارج للتو من بدائيتك
 أن تطأ سلالم الجنون أمام باب المغارة
 وتغور إلى قلبها في غفلة منك،
 أن تقدح عينيك
 وتغرف من عجائب جدتنا: الطبيعة،
 أن ترى تمساحاً صخرياً يرنو لفريسته منذ آلاف السنين
 وسلحفاة ترفع رأسها بتحدٍ
 وسنجاباً يهذف على غصن حجري،
 أن ترى أشباحاً وتنانين مرعبة تملأ العتمة
 بالذهول والهديان،
 أن ترى حزم التماثيل المتناثرة في المرايا الغابرة
 وتخال نفسك ريشة الريح والمطر والماء
 التي رسمت هناك.
 الدهشة أن تقول دليلتك السويسرية
 ألا أسماك تعيش هنا في الماء
 ولا عصافير تعيش في الجدران
 لا ديدان ولا حيوانات...
 وأن تلتفت إليك هامسة كأنها في صلاة:
 انظر! ها هي العذراء تحتضن ابنها الصغير
 الذي كوَّنته فقط قطرات الماء!!
 الدهشة أن تنتهي من جولتك العجيبة تلك،

وتخرج إلى الضوء
 ترى غوته يحمل جذع الحبّ على كتفيه
 وهو بانتظارك،
 وتلمح القديس بياتوس منكباً على خرائطه
 دون أن يلمحك.

● مغارة بياتوس ٢٥ / ٦ / ٢٠٠٨

الهوامش:

- ١- يونغفراو: العذراء، قمة من قمم جبال الألب، ترتفع عن سطح البحر ٤٠٠٠ كم مغطاة بالثلوج دوماً.
- ٢- برينز: قرية سويسرية، اكتشفتها بالصدفة، وهي مسقط رأس الشاعر ألبرت شترايش.
- ٣- مغارة بياتوس: مغارة طبيعية طولها ١٠٠٠ متر، قريبة من مدينة إنترلاكن السويسرية، كان قد زارها الشاعر الألماني غوته، وكتب عنها في يومياته.